مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٢٩)

مسالك العلماء فى درء التعارض الظاهرى فى الأحاديث النبوية

إعداد
الباحث/ على ظريف عبد اللطيف حجازى
لنيل درجة الدكتوراة فى البلاغة والنقد - قسم اللغة العربية
شعبة الدراسات الاسلامية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تحت اشراف
أ.د/ سيد أحمد عبد الحميد كشك
أستاذ الدراسات الاسلامية - جامعة الفيوم

السنة ٢٧ العدد (١٠٦) يوليو ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسالك العلماء فى درء التعارض الظاهرى فى الأحاديث النبوية

الباحث/ على ظريف عبد اللطيف حجازى
لنيل درجة الدكتوراة في البلاغة والنقد
جامعة المنوفية كلية الآداب بشبين الكوم قسم اللغة العربية شعبة الدراسات الاسلامية
تحت اشراف
أ.د/ سيد أحمد عبدالحميد كشك
استاذ الدراسات الاسلامية – جامعة الفيوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِوأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمي الأمين ، الرحمة المهداة ، والسراج المنير صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين ..... أما بعد.

فقد تعرضت السنة النبوية قديمًا وحديثًا لهجمات وطعنات شتي اتخذت ألواناً وأشكالاً متنوعة ، تارة بالطعن في حجية السنة النبوية جملة بدعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم ، وأخرى بدعوى التناقض والتضاد الحاصل بين الأحاديث .

وقد قيض الله ﷻ للسنة النبوية – فى كل عصر – أعلامًا وجهابذة من العلماء بذلوا النفس والنفيس فى حفظها والذب عن عرينها ، ولم تقتصر جهود العلماء على توثيق المرويات ، وبيان حال الرواة جرحًا وتعيلاً بل بذلوا جهودًا كبيرة فى فهم هذه المرويات ، وفى رفع ما قد يكون بينها من تعارض بالجمع والتوفيق ، أو القول بالنسخ إن علم التاريخ ، أو الترجيح بينها بأى وجه من وجوه الترجيح ، وكان من ثمرات هذه الجهود ظهور علم مختلف الحديث

ومما دفعنى للكتابة فى هذا الموضوع أنه توجد أحاديث يوحى ظاهرها التعارض ، فأردت فى هذا البحث أن أوضح أن التعارض بين الأحاديث إنما هو فى الظاهر وأن كلام رسول الله ﷺ لا يمكن أن يعارض بعضه بعضًا .، فقمت بحمد الله وعونه بعمل هذا البحث خدمة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو " مسالك العلماء فى درء التعارض الظاهرى فى الأحاديث النبوية ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة وتمهيدومبحثين.

التمهيد فيشتمل على التعريف بالتعارض ،والمختلف .

المبحث الاول:مناهج العلماء فى ترتيب مسالك دفع التعارض الظاهرى وأشهر المصنفات فيه: وفيه مناهج العلماء فى ترتيب مسالك دفع التعارض ،والموازنة بين مناهج العلماء،ونشأةالتصنيف فى مختلف الحديث وأهم الكتب المؤلفة فيه.

المبحث الثانى :مسالك العلماء فى دفع التعارض الظاهرى وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الجمع مع دراسة نموذج لدفع التعارض بالجمع .

المطلب الثانى : النسخ مع دراسة نموذج لدفع التعارض بالنسخ .

المطلب الثالث :الترجيح مع دراسة نموذج لدفع التعارض بالترجيح.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

التمهيد

أولا :التعارض

التعارض فى اللغة :

التعارض : مصدر تعارض، فهو يقتضى فاعلين فأكثر، فإذا قلنا تعارض الدليلان، كان المعنى تشارك الدليلان فى التعارض الذى وقع بينها، وهو يطلق فى اللغة ويستعمل لعدة معانى منها :-

أولاً : المنع :

قال الأزهرى [1] : " والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناءٌ أو غيره، منع السابلة من سلوكه، وكل ما يمنعك من شغل وغيره من الأمراض فهو عارض، وعرض عارض أى حال حائل ومنع مانع " [2]بحيث يمنع وجود أحدهما وجود الآخر منهما.

---

(1) الأزهرى : ابو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٢٨٢ ـ ٣٧٠) الإمام المشهور فى اللغة، شافعى المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، ومن اشهر مصنفاته تهذيب اللغة: [شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للإمام شهاب الدين ابى الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلى الدمشقى (٣٧٩/٤) بتحقيق عبد القادر الأرناءوط ـ طبعة دار بن كثير الأولى (١٩٨٦).

(2) تهذيب اللغة للأزهرى : (٤٥٤/١، ٤٤٥) مادة عرض بتحقيق محمد عوض مرعب ـ دار إحياء التراث ـ الطبعة الأولى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً : المقابلة :

قال ابن منظور [٣] : " عارض الشئ بالشئ معارضةً، قابله، وعارضت كتابا بكتاب أى قابلته"[٤] وقال : " التعارض مأخوذ من العُرض (بضم العين) وهو الناحية أو الجهة، كأن المتعارضين يقف كل منهما فى وجه الآخر أى جهته وناحيته " [٥].

ثالثاً : المحاذاة :

قال ابن فارس [٦] : " عارضت فلاناً فى السير، إذا سرت حياله، وعارضته مثل ما صنع، إذا أتيت إليه مثل ما أتى إليك، ومنه اشتقت المعارضة " [٧].

إذاً التعارض بين الشيئين لا يتم إلا باستوائهما.

ومن ثم فالتعارض فى اللغة له معان متعددة منها المقابلة، المنع، المحاذاة، وأقربها إلى المعنى الاصطلاحي، المقابلة على سبيل الممانعة.

التعارض فى الاصطلاح :

أكثر من تناول تعريف التعارض بهذا الاسم : الأصوليون – أما المحدثون – فإنهم لم يتناولوه بهذا الاسم، وإنما تناولوه تحت مسمى " مختلف الحديث ".

عرف الأصوليون التعارض بتعاريف كثيرة منها ما ذكره الإسنوى[٨] – رحمه الله– قال : " التعارض بين الأمرين : تقابلهما على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى صاحبه ". [٩]

---

(٣) ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن كرم بن علىّ الأنصارى الملقب بابن منظور (٦٣٠ – ٧١١) ولد فى القاهرة وقيل فى طرابلس، كان محدثاً فقيهاً، تولى القضاء بطرابلس، توفى بالقاهرة من أشهر مؤلفاته لسان العرب : شذرات الذهب (٤٩/٨).

(٤) لسان العرب لابن منظور : (٢٨٨٥/٤) مادة عرض نهر ٢ – طبعة دار المعارف.

(٥) السابق: (٢٨٨٩/٤) مادة عرض نهرا.

(٦) ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا الرازى (٣٢٩ – ٣٩٥) كان إماماً فى علوم شتى، وخصوصاً فى اللغة، من أشهر مؤلفاته معجم مقاييس اللغة – شذرات الذهب : (٤٨٠/٤) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء لخير الدين الزركلي (١٩٣/١) طبعة دار العلم للملايين – الخامسة ٢٠٠٢.

(٧) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (٢٧٢/٤) مادة عرض – بتحقيق. أ/ عبد السلام هارون – طبعة دار الفكر.

(٨) الإسنوى : جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن على القرشي الأموى الإسنوى الشافعي (٧٠٤ – ٧٧٢) برع فى العلوم، وخاصة فى الأصول والعربية، وفى عهدة انتهت إليه رئاسة الشافعية، توفى بمصر: شذرات الذهب : (٣٨٣/٣):

(٩) نهاية السول فى شرح منهاج الأصول للإسنوى (٣٥/٣.) طبعة عالم الكتب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعرفه صاحب معجم أصول الفقه: " تقابل الدليلين على سبيل الممانعة بحيث يقتضى أحدهما ثبوت أمر، والآخر انتفائه، فى محل واحد، وفى زمان واحد ". (١٠)

وعرفه الخطيب البغدادى فقال (١١) : " معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمرٍ ونهى وغير ذلك. أن يكون موجب أحدهما نافياً لموجب الآخر ". (١٢)

فيمكن أن نعرف التعارض الذى هو موضوع هذا البحث – وهو التعارض بين الأحاديث بأنه – تقابل حديثين نبويين على وجه يمنع كل منهما مقتضى الآخر تقابلاً ظاهراً.

ثانياً : مختلف الحديث

مختلف الحديث فى اللغة :

هذا المصطلح مركب إضافى، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، لأن معناه وصف الحديث بأنه مختلف والمختلف مأخوذ من : اختلف ضد اتَّفق، يقال : " اختلف الأمران وتخالفا : أى لم يتّفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف " (١٣).

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾ (١٤) أكُلُه : هو ثمره الذى يؤكل، والضمير للنخل والزرع، واختلاف ثمار النخل والزرع فى اللون، والطعم، والحجم، والرائحة " (١٥).

مختلف الحديث اصطلاحاً :

تعددت عبارات العلماء فى بيان حقيقة هذا العلم وإن اتفقت معظمها فى المعنى تقريباً. وسبب تعدد عبارات العلماء بسبب اختلافهم فى ضبط كلمة مختلف.

فمنهم من قال وهم الأكثر – أنها بضم الميم وكسر اللام على أنها اسم فاعل، وتكون الإضافة بمعنى من. أى : المختلف من الحديث.

---

(١٠) معجم أصول الفقه – تأليف – خالد رمضان حسن : ص(٨٨) طبعة دار الروضة – الأولى ١٩٩٨.

(١١) الخطيب : أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى البغدادى (٣٩٢ – ٤٦٣) أحد الأئمة الأعلام، ارتحل إلى البصرة، ودمشق، ودفن ببغداد، من مؤلفاته، الكفاية فى معرفة أصول الرواية: شذرات الذهب: ٢٦٣/٢٦٢/٥.

(١٢) الكفاية فى معرفة أصول الرواية للخطيب البغدادى : (٥٥٨/٢) طبعة دار الهدى – الأولى (١٤٢٣-٢٠٠٣).

(١٣) لسان العرب : (١٢٤٠/٢) مادة خلف نهرا.

(١٤) سورة الأنعام : الآية (١٤١).

(١٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبى البركات عبد الله بن أحمد النسفى ت (٧١٠) (٥٤٢/١) تحقيق يوسف على بديوى – دار الكلم الطيب - الأولى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنهم من جعلها. بضم الميم وفتح اللام، وتكون الإضافة بمعنى : " فى " أى الاختلاف فى الحديث [١٦]. فمن ضبطها بكسر اللام فقد عرفه بأنه (الحديث الذى عارضه ظاهراً مثله) [١٧] أى أن المختلف هو الحديث نفسه وهذا هو تعريف الإمام الحاكم [١٨] – رحمه الله – ومن ضبطها بفتح اللام فقد عرفه " أن يأتى حديثان متضادان فى المعنى ظاهراً " [١٩] أى أن التعريف لنفس التضاد والاختلاف، وهذا هو تعريف الإمام النووى[٢٠] – رحمه الله – فيلاحظ الحرص دائماً على ذكر قيد ظاهراً فى التعريف، للدلالة على أن التعارض بين الأحاديث إنما هو تعارض ظاهرى، لا حقيقي.

لكن أول من تعرض لتعريف المختلف اصطلاحاً فيما وقفت عليه الإمام الشافعي – رحمه الله – حيث قال : " المختلف ما لم يمض إلا بسقوط غيره، مثل أن يكون الحديثان فى الشئ الواحد هذه يحله وهذا يحرمه ". [٢١]

وقد صار العلماء المعاصرون فى تعريف مختلف الحديث سيرة المتُقَدِّمين، فعرفه د/ صبحى الصالح بقوله : " هو علم يبحث عن الأحاديث التى ظاهرها التناقض من حيث إمكان الجمع بينها، إما بتقييد مطلقها، أو بتخصيص عامّها، أو حملها على تعدد الحادثة، أو غير ذلك، ويطلق عليه علم تلفيق[٢٢] الحديث " [٢٣].

ومن خلال هذه التعاريف وتعريف التعارض المتقدم نجد أنهما بمعنى واحد، وهما لفظان لمسمى واحد.

---

(١٦) الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث د/ محمد أبو شهبة ص (٤٤١ – ٤٤٢) طبعة عالم المعرفة.

(١٧) معرفة علوم الحديث للحاكم ص (١٢٢) دار الأفاق – بيروت – الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(١٨) الحاكم : محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابورى (٣٢١ – ٤٠٥) مولده ووفاته بنيسابور – رحل إلى العراق وخرسان كان مشتغلاً بعلم الحديث أشهر مصنفاته – المستدرك على الصحيحين – ومعرفة علوم الحديث. شذرات الذهب : (٣٣/٥، ٣٤)

(١٩) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير للإمام النووى ص (٩٠) تحقيق محمد عثمان الخشت – دار الكتاب العربي – الأولى ١٤٠٥.

(٢٠) النووى : محى الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن حسن، شافعي المذهب، فقيه حافظ زاهد، (٦٣١ – ٦٧٦) توفى بنوى، من أشهر مصنفاته، المنهاج فى شرح صحيح مسلم، والمجموع، لم يكمله = شذرات الذهب : ٦١٨/٧.

(٢١) الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ص (٣٤٢) تحقيق العلامة أحمد شاكر - دار الكتب العلمية.

(٢٢) لفق : وهي مأخوذة من المعنى اللغوى للفَقَ، فقولك : لفقتُ الثوب : هو أن تُضَمَّ شُقَّةٌ إلى أخرى فتخيطهما، ولَفَقَ الشِّقَّتين يَلْفِقُهُما، أى ضم إحداهما إلى الأخرى فخاطهما " : لسان العرب : (٤٠٥٦/٥) مادة لفق نهر ٢

(٢٣) علوم الحديث ومصطلحه د/ صبحى الصالح : ص (١١١) طبعة دار العلم للملايين - الطبعة الخامسة عشرة (١٩٨٤).

(٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلام محمد على التهانوى : ١٤٩٢/٢ بتصرف يسير. تحقيق د/ على حروج – مكتبة لبنان – الأولى (١٩٩٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالأصوليون استخدموا لفظ التعارض، والمحدّثون استخدموا لفظ " مختلف الحديث" وحاصل أقوال العلماء فى بيان حقيقة هذا العلم.

أنه علم يبحث فى الأحاديث المقبولة التى يبدوا فى ظاهرها التعارض، والاختلاف، ويقصد إلى دفع هذا الاختلاف بالجمع، والتوفيق بينها، إما بحمل المطلق على المقيد، وإما بتخصيص العام، وإما بتفسير المجمل، وإما بغير ذلك من أوجه الجمع، أو ببيان الناسخ والمنسوخ، إذا وجدت أمارته، أو من حيث الترجيح بينها إذا تعذر الجمع والنسخ، ثم التوقف.(٥)

المبحث الأول:مناهج العلماء فى المختلف وأشهر مصنفاته.

المطلب الأول:مناهج العلماء فى ترتيب مسالك دفع التعارض الظاهرى .

سلك العلماء فى دفع التعارض الظاهرى بين الأحاديث أربعة مسالك.

١- الجمع ٢- النسخ ٣-الترجيح ٤- التوقف أوالتساقط

لكنهم اختلفوا فى ترتيبها إلى مذهبين مشهورين :

الأول : وهو مذهب الجمهور من العلماء وعليه علماء الحديث ورتبوها على الآتي:

أولاً : الجمع وهو التوفيق بين الدليلين بوجه من أوجه الجمع.

الثاني : النسخ ويكون عند تعذر الجمع، والتعرف على الناسخ والمنسوخ.

الثالث : الترجيح، ويكون عند تعذر الجمع على وجه مقبول، وتعذر الوقوف على الناسخ والمنسوخ، فيبحث المجتهد فى درجة النصين من حيث القوة والضعف، فإن وجد مرجحاً لأحدهما على الآخر من ناحية دلالته أو من ناحية ثبوته، أو من أى ناحية من نواحي الترجيح المعتبرة شرعاً أعمل الراجح وترك المرجوح.

رابعا: التوقف : ويكون عند تعذر الجمع، والنسخ، والترجيح، فيتوقف المجتهد عن العمل بأحد الدليلين. (٢٤)

قال الحافظ بن حجر : " فصار ما ظاهره التعارض واقعاً على الترتيب : الجمع إن أمكن، فاعتبار الناسخ والمنسوخ، ثم الترجيح إن تعين ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين"(٢٥).

---

(٢٤) علوم الحديث لابن الصلاح للامام ابى عمرو الشهرزورى: ص (٤٧٧) تحقيق نور الدين عتر دار الفكر دمشق

(٢٥) نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر لابن حجر : ص (٩٧)تحقيق د عبدالله الرحيلى مكتبة الملك فهد الوطنية أولى(٢٠٠١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المذهب الثاني : وهو مذهب السادة الحنفية وقد اختاره جمع من الأصوليين ورتبوا هذه المسالك على الترتيب الآتي [٢٦].

١- النسخ. ٢- الترجيح ٣- الجمع ٤- التساقط

وفى ذلك يقول ابن الهُمَام [٢٧] : " فحكمه النسخ إن علم المتأخر، وإلا فالترجيح، ثم الجمع، وإلا تركا إلى ما دونهما على الترتيب إن كان، وإلا قررت الأصول " [٢٨]. فإن لم يكن واحد من هذه الثلاثة تساقطاً [٢٩].

التساقط : أى يسقط كل منهما الآخر، فلا يحتج بهما جميعاً، كأن الدليلين غير موجودين وترجع إلى البراءة الأصلية [٣٠].

المطلب الثانى:الموازنة بين مناهج العلماء.

اتفقوا جميعاً على اعتبار المسالك الثلاثة الأول : الجمع – النسخ – الترجيح، ولكنهم اختلفوا فى ترتيبها فكان لكل منهم منهجا فى هذه المسالك.

لكنهم اختلفوا فى المسلك الرابع فسماه المحدثون " التوقف " وهو التوقف عن العمل بأحد النصين حتى يتبين وجه الحق فيهما، وهذا مسلك يضطر إليه المجتهد حيال هذا التعارض، وهو فى الحقيقة ليس مسلكاً. للخروج من الخلاف، وإنما هو عذر فى ترك العمل.

ولكن التوقف إنما هو باعتبار قصر المجتهد فى نظرته للنصوص أو قصر فهمه أو غير ذلك.

أما التساقط فيكون بإسقاطهما معاً.

لذا كان التعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط.

---

(٢٦) تيسير التحرير شرح العلامة محمد أمين المعروف بأمير بادشاه : ١٣٧/٣، طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥١هـ.

(٢٧) ابن الهُمام : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد الشهير بابن الهمام (٧٩٠ – ٨٦١) كان عالماً فى الفقه والأصول والنحو، وهو حنفى المذهب من أشهر مصنفاته، التحرير فى أصول الفقه، فتح القدير : شذرات الذهب ١٣٧/٩ – ١٣٩.

(٢٨) تيسير التحرير شرح التحرير للعلامة محمد أمين (١٣٧/٣).

(٢٩) أصول الفقه للشيخ محمد الخضر حسين ص (٣٥٩)المكتبة التجارية الكبرى.

(٣٠) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد على الشوكانى:(١١٢٤/٢)تحقيق سامى الأثرى-دار الفضيله-الرياض الأولى(٢٠٠٠)، منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره فى الفقه الإسلامى دعبد المجيدالسوسوه :ص (١١٦)دار النفائس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الحافظ : والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط، لأنّ خفاء ترجيح أحدهما على الآخر، إنما هو بالنسبة للمعتبر فى الحالة الراهنة، مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفى عليه " (٣١).

وفى النهاية : فإن القول بالتوقف أو التساقط ما هو إلا مجرد كلام نظرى ليس له أثر عملى، ولذا قال ابن خزيمة (٣٢) : " أنه لا يوجد حديثان صحيحان عن رسول الله - ﷺ - متضادان إلا ويمكن التوفيق بينهما " (٣٣) لأنه لا يمكن التعارض بين النصوص على وجه يمكن فيه - الجمع أو النسخ أو الترجيح، لأن النصوص لا تتعارض والرسول قد بيّن وبلّغ.

المطلب الثالث: نشأة التصنيف فى مختلف الحديث وأهم الكتب المؤلفة فيه.

يمكن تقسيم مختلف الحديث من حيث التصنيف ألى شقين:

الشق الأول:المتعلق بالتعريف والقواعد ،وتناوله باعتبار مايتعلق به من تعريف ،وتأصيل ضوابطه،ويمكن أن يسمى(الجانب التأصيلى لمختلف الحديث) وممن تناول هذا النوع على سبيل المثال الامام الشافعى حيث قام بذكر كثير من قواعد مختلف الحديث فى كتابه الرسالة. (٣٤)

الشق الثانى:المتعلق بجمع النصوص التى ظاهرها التعارض،والتأليف فيها وهو مايمكن أن يسمى(الجانب التطبيقى لمختلف الحديث) وقد أفرد بعض الأئمة تأليف خاصة أوردها على النحو التالى:

١- اختلاف الحديث للإمام محمد بن إدريس الشافعى وهو مؤلف من جزء واحد جمع فيه المختلف فقط،وقصد الشافعى أن يسوق فى كتابه أمثلة عديدة للأحاديث التى تتعارض ظواهرها،وكيفية التوفيق بينها،على مالم يذكره،وعليه فلم يقصد استيعاب جميع الأحدديث بأسرها فى كتابه .كماصرح بذلك النووى فقال: "صنف فيه الامام

(٣١) نُزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر للحافظ : ص (٩٧).
(٣٢) ابن خزيمة : هو إمام الأئمة ابو بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيمة السُّلَمِى النيسابورى (٢٢٣ - ٣١١)روى عن البخارى ومسلم، وهو حافظ ثبت إمام -- صحيح ابن خزيمة : شذرات الذهب :(٥٧/٤)
(٣٣)الكفاية فى معرفة أصول علم الرواية للإمام الحافظ الخطيب البغدادى : (٥٥٨/٢).
(٣٤)الرساله للاما م الشافعى:ص(٢١٣)تحقيق أحمدشاكر-دار الكتب العلمية-بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشافعى ولم يقصد استيفاءه ،بل ذكر جملة ينبه بها على طريقه .[٣٥] وصارفيه على طريقة المحدثين فى دفع التعارض.

٢-تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينورى [٣٦] ، وهو مؤلف من جزء واحد،جمع فيه بين المشكل والمختلف ،فكان يعرض القضيه التى وقع فيها التعارض ثم يبدئ الجواب عنها بنفى التعارض بين الأحاديث ثم يسوق الأدلة والشواهدعلى بطلان التناقض.

٣- مشكل الآثارللطحاوى[٣٧] :جمع المؤلف بين الأحاديث التى تختص بمختلف الحديث والأحاديث التى تختص بالمشكل بسب مخالفتها للقران ،أواللغه ،أوالعقل ولهذا سماه " مشكل الآثار "لأن المشكل أعم من المختلف.

المبحث الثانى

مسالك العلماء فى دفع التعارض الظاهرى

المطلب الأول : الجمع

تعريف الجمع فى اللغة : هو مصدر قولك : جمع الشئ جمعاً إذا جئت به من هنا أو ههنا، ويقال أيضاً : اجتمع السيل – أى من كل موضع – والحاصل أن الجمع هو تأليف الشئ عن تفرقة [٣٨].

تعريف الجمع اصطلاحاً :

هو أعمال الحديثين المتعارضين، الصالحين للاحتجاج، المتحدين زمناً، بحمل كل منهما على محمل صحيح مطلقاً، أو من وجه دون وجه، بحيث يندفع به التعارض بينهما[٣٩].

بم يكون الجمع ؟.

---

(٣٥)التقريب والتيسيرلمعرفة سنن البشير النذير للنووى:ص(٩٠)تحقيق محمد عثمان الخشت-دار الكتب العربى-ط الأولى (١٩٨٥).

(٣٦)الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوريُّ (٢١٣ – ٢٧٦) نحوى – لغوى – ثقة – صاحب مصنفات مشهورة: شذرات الذهب(٣/١٨٠).

(٣٧)الطحاوى : الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى المصرى (٢٣٩ – ٣٢١) شيخ الحنفية كان ثقة – ثبت – لهُ مصنفات أشهرها " مشكل الآثار : شذرات الذهب : (١٠٥/٤).

(٣٨) لسان العرب : (٦٧٨/١) مادة جمع نهر ٣.

(٣٩) مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء د/ أسامة خياط ص (٣٠) رسالة دكتوراه – دار ابن حزم الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون الجمع بين الأدلة بالأخذ بظاهر اللفظ أحياناً، وأحياناً يكون بالأخذ بما وراء ظاهر اللفظ وهو ما يعرف بالتأويل (٤٠).

شروط الجمع بين الأحاديث التى ظاهرها التعارض.

من خلال التعريف الاصطلاحي، يظهر أن للجمع شروطاً لا يعد الجمع صحيحاً، أو مقبولاً إلا بوجودها جميعاً، فإذا اختل منها شرط كان الجمع مردوداً:-

الأول : أن يكون كل من الحديثين المتعارضين صالحين للاحتجاج، ويكون ذلك داعي للجمع، فإذا كان الحديثان ضعيفين فيتركان ويعمل بغيرهما، وإذا كان أحدهما صحيحاً والآخر مردوداً، فيترك المردود ويعمل بالصحيح (٤١).

الثاني : ألا يؤدى الجمع بين الدليلين إلى إبطال نص من نصوص الشريعة، أو إبطال جزء منه : لأنه إذا أدى إلى ذلك كان جمعاً غير معتبر، ولا يمكن أن يعتمد عليه فى الأحكام الشرعية (٤٢).

الثالث : ألا يكون تقابلهما على وجه التناقض أو التضاد بحيث يستحيل الجمع بينهما فمتى أمكن الجمع بين حديثين متعارضين فى الظاهر، والتوفيق بين مدلوليهما، فلابد أن يندفع التعارض الذى كان واقعاً بينهما بصورة تامة، وإلا فقد يكون أحدهما ناسخاً للآخر، أو يرجح أحدهما على الآخر (٤٣).

الرابع : ألا يؤدى الجمع بين الدليلين إلى الاصطدام مع دليل آخر صحيح يخالف هذا الجمع، فإن وجد حديث صحيح مثلاً – يخالف الجمع بين الدليلين المتعارضين فلا يعتبر بمثل هذا الجمع (٤٤).

الخامس : أن يكون الجمع بين الدليلين لغرض صحيح وعلى وجه صحيح.

أما الغرض الصحيح فهو رفع التعارض القائم بينهما، ويكون مستنداً إلى دليل شرعي، أما الوجه الصحيح بأنه يكون مقبولاً، غير متعسف ولا متكلف، ولا يخرج عن المقاصد الكلية للتشريع، وأن لا يكون بالتأويل البعيد، فلا يخرج عن القواعد المقررة

---

(٤٠) التأويل : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل موافقاً للكتاب والسنة: التعريفات للعلامة : على بن محمد الشريف الجرجاني ص (٤٣) مكتبة لبنان طبع ١٩٨٥م.

(٤١) توضيح الأفكار لمعانى تنقيح الأنظار للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير – الصنعانى : (٤٢٣/٢) تحقيق العلامة محمد محى الدين عبد الحميد – المكتبة السلفية: ومنهج التوفيق الترجيح د/ عبدالمجيدالسوسوه ص (١٤٣).

(٤٢) منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث د / عبدالمجيدالسوسوه.

(٤٣) مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين د/ نافذ حسين ص (١٤٣)دار الوفاء-المنصورة-الاولى (١٩٩٣).

(٤٤) المصدر السابق ص (١٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى اللغة، أو قواعد الدين المعلومة بالضرورة، ولا يخرج ما لا يليق بكلام الشارع الحكيم (٤٥)

السادس : أن يكون من يقوم بالجمع بين مختلف الحديث أهلاً لذلك ممن لهم دراية بصنعتى الحديث والفقه، الغواصون على المعانى الدقيقة (٤٦).

إذاً هذا هو أول مسلك يجب على المجتهد اتباعه، فيحاول المجتهد الجمع بين الحديثين المتعارضين ظاهراً، لأن إعمال الأدلة أولى من إهمالها. إذاً هذا هو أول مسلك يجب على المجتهد اتباعه، فيحاول المجتهد الجمع بين الحديثين المتعارضين ظاهراً، لأن إعمال الأدلة أولى من إهمالها.

قال الإمام الخطّابي (٤٧) – رحمه الله – " وسبيل الحديثين إذا اختلفا فى الظاهر، وأمكن التوفيق بينهما، وترتيب أحدهما على الآخر، أن لا يحملا على المنافاة، ولا يضرب بعضها ببعض، لكن يستعمل كل واحد منهما فى موضعه، وبهذا جرت قضية العلماء فى كثير من الحديث " (٤٨).

نموذج للجمع بين الحديثين المتعارضين:

ومن صور الجمع:الجمع بيت تعارض المطلق والمقيد من الأحاديث:اذا كان أحد الحديثين المتعارضين فى الظاهر مطلقا فى دلالته،والاخر مقيدا فى دلالته،فالمسلك الذى يتبع حينئذهو:حمل المطلق عللى المقيد وبهذا المثال يتضح كيفية الجمع بين حديثين يتعارضان فى ظاهرهما،وأحدهما دلالته مطلقه والثانى دلالته مقيدة.

(٤٥) نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر ص (٩١) ومختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين د/ نافذ حسين (١٤٥)

(٤٦) علوم الحديث لابن الصلاح : ص (٢٨٤) ومنهج التوفيق د/ السوسوه ص(١٥٣).

(٤٧) الخطابي : الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستى الشافعي (٣١٩ – ٣٨٨) ولد ببلاد كابل له مصنفات شتى أشهرها، معالم السنن، وغريب الحديث: شذرات الذهب : (٤/٤٧١ – ٤٧٢).

(٤٨) معالم السنن للخطابي : (٣/٨٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

. إثم الكذب على رسول الله - ﷺ -

* الحديث الذى ظاهره النار لكل من كذب على رسول الله - ﷺ -.

عن علىّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول : " قال : النبيَّ - ﷺ - : " لاَ تَكْذِبُوا (١)عَلَيَّ (٤٩)،فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ (٥٠)النَّارَ " (٥١).

* الحديث التى ظاهره النار لكل من تعمد الكذب على رسول الله - ﷺ -

١- * قَالَ أَنَسٌ: إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، (٥٢)فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (٥٣).

وجه التعارض :

حديث علىّ بن أبي طالب فيه الوعيد بالنار : لكل من كذب على رسول الله - ﷺ - فشمل كل أنواع الكذب، العمد، الخطأ، النسيان، السهو.

والحديث الأخرى قيد الكذب الذى فيه الوعيد الشديد بالنار بالكذاب المتعمد، لا كذب الناسي، والخطأ، والساهي.

مسلك العلماء فى درء هذا التعارض الظاهرى :

سلك العلماء فى هذه المسألة مسلك الجمع.

وذهب إلى الجمع الإمام النووى والقرطبي بما يلي :

أنه إذا كان أحد الحديثين المتعارضين فى الظاهر أحدهما مطلقاً فى دلالته، والآخر مقيداً فى دلالته، عندئذ يحمل الحديث المطلق على الحديث المقيد.

وعلى هذا تحمل الرواية الأولى المطلقة على الرواية الثانية المقيدة عملاً بقاعدة حمل المطلق على المقيد، وعليه فالوعيد الشديد لمن كذب على رسول الله - ﷺ - متعمداً، فلا يدخل فى هذا الوعيد من كذب عليه سهواً، أو خطأ، أو نسياناً، أو

---

(٤٩)الكذب: ضد الصدق، والكاذب يعلم أن ما يقوله كذب: النهاية لابن الأثير: (١٥٩/٤) مادة كذب.

(٥٠) لا تكذبوا علىّ : هل هناك فرق بين الكذب عليه، والكذب له ؟ هما فى الحكم سواء لأن معنى كذب عليه، نسبة الكلام إليه كاذباً سواء كان عليه أو له. أ.هـ - الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى لمحمد بن يوسف بن على الكرماني : (١١٠/٢) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الأولى : ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٥١) الولوج : هو الدخول، ومعناه يصير إلى النار : النهاية : (٢٢٤/٥) مادة ولج.

(٥٢) البخارى، ك : العلم، باب : إثم من كذب على رسول الله - ﷺ - : (٥٥/١(١٠٦) – ومسلم، المقدمة، باب : تغليظ الكذب على رسول الله - ﷺ - : (١٤/١(١/١).

(٥٢) كذباً – عام فى جميع أنواع الكذب، لأن النكرة فى سياق الشرط كالنكرة فى سياق النفي، فى إفادة العموم - الكواكب الدرارى : (١١٤/٢).

٥٣) البخارى، ك : العلم، باب : إثم من كذب على رسول الله - ﷺ - : ٥٥/١(١٠٨).
ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله - ﷺ - : ١٤/١(٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غلطاً، ولو لم يرد فى الحديث التقييد بالتعمد، لهلك الواهمون من رواه الحديث لمجرد الوهم والغلط الذى لا يكاد يسلم منه أحد.

قال النووى – رحمه الله – : " قيده – ﷺ – بالعمد، لكونه قد يكون عمداً، وقد يكون سهواً، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة فى الكتاب والسنة متوافقة متظاهرة على أنه لا أثم على الناسي والغالط، فلو أطلق – ﷺ – الكذب، لتوهم أنه يأثم الناسي أيضاً فقيده، وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة بالعمد " (٥٤).

وقال الإمام القرطبي : " وهذا ما عليه الجمهور، وهى الطريقة المرضية فى هذا الجمع وهى حمل المطلق على المقيد " (٥٥).

قلت : ويؤيد التقييد بالعمد قوله تعالى مقرراً قاعدة من قواعد الشرع الإسلامى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٥٦).

وعلى هذا فهو ليس على عمومه.

وهذا ليس خاصا بالقول فقط بل يشمل الفعل أيضاً، لأن الفعل فى معناه لاشتراكهما فى علة الامتناع وهو الجسارة على الشريعة، ومشرعها، صلوات الله وسلامه عليه (٥٧).

المطلب الثانى:النسخ

النسخ فى اللغة :

يطلق النسخ فى لغة العرب على الإزالة، سواء كانت محواً، أو تبديلاً، أو نقلاً(٥٨). ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (٥٩).

(٥٤) شرح النووى على مسلم للامام محى الدين بن شرف النووى: (٦٩/١)المطبعه المصريه الأزهر.ط الأولى (١٩٢٩).
(٥٥) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم كتاب مسلم للأمام أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى : (١١٣/١)دار ابن كثير ط الأولى (١٩٩٦).
(٥٦) سورة الأحزاب الآية (٥).
(٥٧) الكواكب الدرارى للكرمانى : (١١٥/٢).
(٥٨) لسان العرب : (٤٤٠٧/٦) مادة نسخ نهر ٢.
(٥٩) سورة البقرة الآية (١٠٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النسخ فى الاصطلاح :

عرّفه الأصوليون بتعاريف عديدة، ولكني اقتصر على التعريف الذى ورد فى كتب الحديث. وهو " النسخ رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر " (٦٠)

شروط النسخ :

للنسخ شروط لابد من تحققها فى الناسخ والمنسوخ حتى نستطيع أن نقول بالنسخ ومن أهمها:

أولاً : أن يكون النسخ بخطاب شرعي.

ويلزم من هذا أن النسخ لا يقع إلا فى عصر النبوة، ولا يكون الإجماع ناسخاً، لأنه لم يحتج إليه، وليس دليلاً شرعياً إلا بعد النبوة (٦١).

ثانياً : أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.

فإذا كان حكماً عقلياً فلا نسخ، لأن الحكم العقلى ليس من النسخ من شئ (٦٢).

ثالثاً :أن لا يكون المنسوخ مقيداً بزمان مخصوص (مؤبداً أو مؤقتاً).

فالنصوص الحديثية التى تضمنت أحكاماً دلت بصيغتها على التأبيد لا تقبل النسخ، لأن تأبيدها يمنع نسخها، وكذلك الحكم المؤقت لا يقبل النسخ، لأن المؤقت ينتهى بانتهاء وقته دون حاجة إلى النسخ (٦٣).

رابعاً : أن يكون الناسخ ورد متراخياً عن المنسوخ.

وذلك بكون الناسخ متأخراً فى الزمان عن المنسوخ، وليس مقترناً به فى زمن واحد، لأن هذا الشرط لازم للرفع، لأن رفع الحكم يستلزم أن يستقر الحكم أولاً على المكلفين، ثم يأتي بعد ذلك ما يدل على ارتفاعه، فإذا جاء حكم ومعه ما يخصصه أو ما يقيده أو ما يفصله، فلا يكون نسخاً بل تخصيصا بالشرط أو بالصفة (٦٤).

خامساً : أن يكون المنسوخ حكماً عملياً جزئياً.

---

(٦٠) علوم الحديث لابن الصلاح : ص (٢٧٧) والتقريب للنووى : ص (٨٨).

(٦١) الاعتبار فى بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار للإمام محمد بن موسي بن حازم ص(٦) مطبعة دار المعارف العثمانية سنة ١٣٩٥. وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن على الشوكانى : (٧٩٢/٢).

(٦٢) الاعتبارللحازمى : ص (٦) إرشاد الفحول:(٧٩٢/٢)

(٦٣) الاعتبار للحازمي : ص (٧)

(٦٤) أصول الفقه للشيخ محمدأبو زهرة ص(ـ١٩١) دار الفكر العربى ،ومنهج التوفيق: د الموسوعة ص (٢٨٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما أحكام العقيدة أو القواعد الكلية أو الأخبار فلا يرد عليها النسخ [٦٥].

الطرق التى يعرف بها النسخ

يعرف الناسخ والمنسوخ فى أحاديث رسول الله - ﷺ - بأربعة طرق أذكرها إجمالاً.

الأول : تصريح النبي - ﷺ - بالنسخ.

ثانياً : تصريح الصحابي بالنسخ، وذلك بأن يكون هناك نص آخر يخالف النص الذى قال عنه الصحابي إنه منسوخ.

الثالث : معرفة التاريخ : أى تاريخ الحديثين، وهو الزمان الذى قيل فيه كل منهما، فيكون المتأخر ناسخاً للمتقدم، وهذا إذا تعذر الجمع بينهما.

الرابع : إجماع الأمة على ترك العمل بالحديثين.

وليس معنى هذا أن الإجماع ينسخ الحديث، وإنما هو يدل على وجود ناسخ، فالناسخ هو ذلك النص الذى استند إليه الإجماع، وليس الإجماع ذاته، وقولهم : " هذا الحكم منسوخ إجماعاً معناه : أن الإجماع انعقد على أن ذلك الحكم نسخ بدليل من الكتاب أو السنة لا أن الإجماع نسخة " [٦٦].

قال الإمام النووى : " قال العلماء : يعرف نسخ الحديث بأمور منها تصريح النبي - ﷺ - ومنها قول الصحابي، ومنها ما يعرف بالتاريخ، ومنها ما يعرف بالإجماع، والإجماع لا ينسخ لكن يدل على وجود ناسخ "[٦٧].

وهذا الأوجه الأربعة ذكرها الإمام الشافعي [٦٨]، وابن الصلاح [٦٩]، والحافظ بن حجر [٧٠]

---

(٦٥) الموافقات للشاطبي : (٣/٣٣٨-٣٣٩).
(٦٦) منهج التوفيق والترجيح د/ السوسوة : ص (٣٠٤ - ٣٠٥).
(٦٧) شرح النووى على صحيح مسلم للإ مام محى الدين بن شرف النووى(٣٥/١) المطبعه العصريه بالإزهر ط أولى (١٩٢٩).
(٦٨) اختلاف الحديث للإمام الشافعي ص (٤٠) طبعة دار الفكر - الأولى.
(٦٩) علوم الحديث لابن الصلاح : ص (٢٧٧ - ٢٧٨).
(٧٠) الحفظ ابن حجر : أمير المؤمنين حافظ العصر أحمد بن على بن محمد بن محمد الشهير بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢) عسقلاني الأصل، مصرى المولد، والمنشأ، والوفاة، شافعي المذهب، ، صار حافظ الإسلام، كان علماً بالرجال ومعرفة الأسانيد، وعلم العلل، ، ": شذرات الذهب : (٣٩٥/٩، ٣٩٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نموذج النسخ

الحجامة [٧١] للصائم

ماورد من أن الحجامه تفطرالصائم:عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ أَتَى عَلى رَجُلٍ بِالْبَقِيعِ، وَهُوَ يَحْتَجِمُ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلتْ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَال: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»[٧٢].

الحجامة لا تفطر الصائم :-

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَاحْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ» [٧٣].

وجه التعارض :-

([٧١]) الحجامة : مأخوذة من الحجم أى المص : يقال حجم الصبي ثدى أمه إذا مصه، والحجام المصاص، ويقوم الحجام بمص الدماء فى المحجم، وهى الآلة التى يجمع فيها دم الحجامة عند المص : للسان : (٧٩٠/٢)مادة:حجم نهر ٣.

([٧٢]) أبو داود، ك : الصوم، ب : الصائم يحتجم : ١٥٣/٣ «٢٣٦٩» وسكت عنه
والنسائي فى سننه الكبرى، ك : الصيام، ب : الحجامة للصائم : «٣٢١/٣ - ٣٢٩» (٣١٣٢ - ٣١٣٣، ٣١٣٤، ٣١٣٥، ٣١٣٦، ٣١٣٧، ٣١٣٨، ٣١٣٩، ٣١٤٠، ٣١٤١، ٣١٤٢، ٣١٤٣، ٣١٤٤، ٣١٤٥، ٣١٤٦، ٣١٤٧، ٣١٤٨، ٣١٤٩، ٣١٥٠، ٣١٥١، ٣١٥٢، ٣١٥٣، ٣١٥٤، ٣١٥٥، ٣١٥٦، ٣١٥٧)
وذكر الأسانيد المختلفة فيه ومن رواه من الصحابة،
وابن ماجة، ك : الصيام، ب : ما جاء فى الحجامة للصائم : ٥٢٧/١ «١٦٨١»،
وأحمد فى مسنده : ١٢٢/٤ «١٧١٥٣» والشافعي فى اختلاف الحديث ص١١٨،
=
= وابن حبان فى صحيحه : ٣٠١/٨ «٣٥٣٢» و٣٠٢ «٣٥٣٣»،
والحاكم فى المستدرك : ٤٢٨/١، وقد نقل الحاكم تصحيح إسحاق بن راهوية، فقال : « هذا إسناد صحيح تقوم به الحجة، وهذا الحديث قد صح بأسانيد وبه نقول »
جميعهم من طريق أبي قلابة، عن أبي الأشعث، عن شداد بن أوس،
أبو قلابة : عبد الله بن زيد الجرمي - ثقة فاضل كثير الإرسال : التقريب ص٢٤٦ «٣٣٣٣»،
أبو الأشعث : شراحيل بن آده. ثقة - التقريب ص٢٠٦ «٢٧٦١»إسناده صحيح.
والحديث له شاهد من حديث ثوبان - ﷺ - بإسناد = =صحيح ورجاله ثقات. وحديث شداد بن أوس قد صححه جمع من الأئمة الحفاظ. قال الحافظ بن حجر : «قال عثمان الدارمي : صح حديث أفطر الحاجم والمحجوم من طريق ثوبان وشداد، وقال : وسمعت أحمد يذكر ذلك، وقال : المروذى : قلت لأحمد بن يحيي بن معين قال : ليس فيه شئ يثبت ؟ فقال : « هذه مجازفة» وقال : ابن خزيمة، صح الحديثان » فتح الباري لابن حجر «٢٠٩/٤».
وقال الترمذى : «سألت محمداً - يعنى البخارى - عن هذا الحديث - فقال : ليس فى الباب شئ أصح من حديث شداد بن أوس، وثوبان، فقلنا له : كيف بما فيه الاضطراب ؟ فقال : كلاهما عندى صحيح، لأن يحيي بن أبي كثير روى عن أبي قلابة، عن أبي أسماء عن ثوبان، وعن أبي الأشعث، عن شداد بن أوس. روى الحديثين جميعا، وهكذا ذكروا عن على بن المديني أنه قال : حديث شداد بن أوس، وثوبان صحيحان » علل الترمذى الكبير ص «١٢٢، ١٢٣»، علق الحافظ بن حجر على كلام البخارى الذى نقله عنه تلميذه الترمذى فقال فى الفتح « يعنى فانتفى الاضطراب وتعين الجمع بذلك » فتح البارى «٢٠٩/٤»،
وقال النووى : « وهذا الحديث ورد بأسانيد صحيحة وإسناد أبي داود على شرط مسلم » المجموع للنووى «٣٩٠/٦».

([٧٣]) البخارى، ك : الصوم، ب : الحجامة والقئ للصائم «٤٢/٢ «١٩٣٨، ١٩٣٩». وذكر البخارى أطرافه «٢١٠٣ - ٢٢٧٨ - ٢٢٧٩ - ٥٦٩١ - ٥٦٩٤ - ٥٦٦٥ - ٥٦٩٩ - ٥٧٠٠ -»
ومسلم، ك : الحج «ب» جواز الحجامة للمحرم : «٢٩٧/٢ «٨٧/١٢٠٢».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حديث شداد بن أوس أخبر بفطر الحاجم والمحجوم وهذا نصٌ صريح لا يحتمل التأويل.

وحديث عبد الله بن عباس صريح فى عدم إفساد الصوم بالحجامة وذلك لفعل النبي - ﷺ - الحجامة وهو صائم.

مسلك العلماء فى درء هذا التعارض الظاهرى.

النسخ :-

أن حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – ناسخ لحديث شداد ابن أوس.

وذهب إلى النسخ الإمام الشافعي وهو قول من ألف فى الناسخ والمنسوخ (٧٤).

قال الإمام الشافعي « الزمان الذى قال فيه النبي - ﷺ - حديث شداد بن أوس « أفطر الحاجم والمحجوم » زمن فتح مكة – أى سنة ثمان من الهجرة – كما هو مصرح به فى الحديث والزمان، وسماع ابن أوس عام الفتح، ولم يكن النبي - ﷺ - يومئذ محرماً، ولم يصحبه محرم قبل حجة الإسلام، أما حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – فذكر ابن عباس – رضى الله عنهما – حجامة النبي - ﷺ - عام حجة الإسلام سنة عشر، وحديث أفطر الحاجم والمحجوم فى الفتح سنة ثمان قبل حجة الإسلام بسنتين.

وعليه فإن حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – ناسخ لحديث شداد - ﷺ - (٧٥).

ويؤيد النسخ :-

أولاً : حديث أنس بن مالك - ﷺ - قال : « أوَّلُ ما كُرهت الحجامة للصائم أنَّ جعفر ابن أبي طالب احتجم وهو صائم، فمر به النبي - ﷺ - فقال : « أفطر هذان » ثم رخص النبي - ﷺ - بعدُ فى الحجامة للصائم، وكان أنس يحتجم وهو صائم » (٧٦).

---

(٧٤) الاعتبار للحازمي: ص(١٤٠)، ، ناسخ الحديث ومنسوخة لأبى حفص عمر بن احمد بن شاهين :ص(٣٣٩)-تحقيق سمير الزهيرى-مكتبة المنار.

(٧٥) لختلاف الحديث للشافعي ص١١٨، فتح البارى لابن حجر : «٢٠٩/٤، ٢١٠».

(٧٦) سنن الدراقطني : ك : الصيام، ب : حجامة الصائم : ١٤٩/٣ «٢٢٦٠» من طريق خالد بن مخلد عن عبد الله بن المثنى، عن ثابت البناني عن أنس.
خالد بن مخلد – صدوق – التقريب ص١٣٠ «١٦٧٧»، عبد الله بن المثني بن عبد الله بن أنس : صدوق كثير الغلط :التقريب: ص٢٦٢ «٣٥٧١».
ثابت البناني : ثقة عابد : التقريب لابن حجر ص٧١ «٨١٠» قال الدارقطني فى السنن«١٤٩/٣» كلهم ثقات ولا أعلم لهم علة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والغالب أن الرخصة لا تكون إلا بعد نهي.

ثانياً : إن حديث « أفطر الحاجم والمحجوم » لا يدل على الفطر، بل المراد بإفطارهما تعريضهما للإفطار، أما الحاجم فلأنه لا يؤمن أن يمتص شيئاً من الدم إلى جوفه. لأن الحاجم يمتص الدم من المحجوم، وأما نهي المحجوم عن الحجامة فلأنه لا يؤمن أن يعرض صيامه للفساد بسبب الضعف الذى قد يلحقه من الحجامة عند خروج الدم فيئوله إلى الإفطار (٧٧).

ثالثاً : ويؤيد النسخ ما قاله الطحاوى :-

« ويستشهد لذلك بالنظر، فإنا رأينا خروج الدم أغلظ أحواله أن يكون حدثاً فينتقض به الطهارة، وقد رأينا الغائط والبول، خروجهما حدث ينتقض به الطهارة، ولا ينقض الصيام، فالنظر على ذلك أن يكون الدم كذلك، فالحجامة فى النظر أيضاً كذلك » (٧٨).

الراجح : قلت. النسخ هنا ثابت وبه أقول، فالحجامة لا تفطر الصائم وحديث ابن عباس ناسخ لحديث شداد بن أوس.

قلت : الحجامة لا تفد الصوم لأن الحجامة دم خارج من الجسم، إلا أنه من الأولى تركها حتى لا يتعرض إلى ما يضعف جسمه. والله أعلم.

المطلب الثالث : الترجيح

الترجيح لغة : هو مصدر للفعل رَجَّحَ، ويطلق على التمييل، والتغليب، والتثقيل والتقوية، يقال رجح الميزان بمعني : مال، وأرجح الميزان أى ثقل حتى مال، ويقال رجّحت الشئ – بتشديد الجيم – أى فضلته وقويته (٧٩).

الترجيح فى الاصطلاح :

تعددت اتجاهات العلماء وتنوعت عبارتهم فى تعريف الترجيح، ولكن اقتصر على هذا التعريف وهو : " تقوية أحد الطرفين على الآخر، فيعلم الأقوى، فيعمل به، ويطرح الآخر، والقصد منه، تصحيح الصحيح، وإبطال الباطل " (٨٠).

---

(٧٧) معالم السنن للخطابي : «١١١/١١٠/١» بتصرف كثير.

(٧٨) شرح معاني الآثار لأبى جعفر الطحاوى«١٠٢/٢»تحقيق محمد زهرى النجار- عالم الكتب،ط.الأولى(١٩٩٤).

(٧٩) لسان العرب : (١٥٨٦/٣)، القاموس المحيط : (٢٢٠/١) المصباح المنير : (٨٣/١) جميعهم مادة رجح.

(٨٠) معجم أصول الفقه : ص (٨٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شروط الترجيح :

اشترط العلماء للترجيح بين الحديثين شروطاً لابُد من تحققها حتى يعتبر الترجيح صحيحاً، وإذا اختل شرط واحد منها كان الترجيح فاسداً وهذه الشروط أجملها فيما يلي:

الأول : أن لا يكون الحديثان المتعارضان متواترين، لأنه لا ترجيح لقطعى على قطعى [٨١].

الثاني : أن يكون أحدهما أرجح من الآخر بالدليل [٨٢].

الثالث : أن لا يمكن الجمعُ بين المتعارضين بوجهٍ مقبولٍ، فإن أمكن ذلك تعين المصير إليه، ولم يُجز المصير إلى الترجيح [٨٣].

الرابع : ألا يثبت أن أحدهما منسوخ والآخر ناسخ [٨٤].

الخامس : أن يتساوى الدليلان المتعارضان فى الثبوت والحجية، فلا يعتبر الترجيح صحيحاً بين حديث صحيح وحديث ضعيف [٨٥].

السادس : أن يتفق الدليلان المتعارضان فى الحكم مع اتحاد المحل، والوقت، والجهة. [٨٦]

وجوه الترجيح بين الأحاديث المتعارضة.

قد اهتم العلماء بذكر وجوه الترجيح بين الأدلة، لما لها من أهمية كبيرة فى دفع التعارض الظاهرى الواقع بين الأحاديث التى ظاهرها التعارض.

فالحازمي [٨٧] – رحمه الله – قد أورد فى مقدمة كتابه الاعتبار خمسين وجهاً للترجيح وقال فى آخر الوجه الخمسين : " فهذا القدر كاف فى ذكر الترجيحات، وثمَّ وجوه كثيره أضربنا عن ذكرها كى لا يطول به هذا المختصر " [٨٨].

---

(٨١) الإحكام فى أصول الأحكام للإمام على بن محمدالآمدى : (٢٩٤/٤)دار الصميعى –الرياض ط الأولى(٢٠٠٣)،و إرشاد الفحول للشوكاني : (١١٢٠/٢).

(٨٢) رشاد الفحول للشوكانى : (١١٢٢/٢)، الإعتبار للحازمى للحازمى: ص (٢٢).

(٨٣) إرشاد الفحول للشوكانى: (١١٢٦/٢).

(٨٤) البرهان فى أصول الفقه لإمام الحرمين عبدالله بن يوسف: (١١٥٨/٢). تحقيق د-عبدالعظيم الديب-قطر – ط.الأولى(١٣٢٣ه)

(٨٥) إرشاد الفحول للشوكانى: (١١١٥/٢).

(٨٦) المصدر السابق: (١١١٥/٢).

(٨٧) الحازمى : محمد بن موسى عثمان بن حازم المعروف بالحازمى (٥٤٨ – ٥٨٤) من رجال الحديث، أصله من همذان، ووفاته ببغداد، له مؤلفات من أشهرها – الاعتبار فى بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار: الأعلام : ١١٧/٧.

(٨٨) الاعتبار للحازمى :ص (٢٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجاء الحافظ العراقى [٨٩] – رحمه الله – فذكر فى نكته على كتاب ابن الصلاح الأوجه الخمسين التى عدّها الحازمى، وزاد عليها، فبلغ بها مائة وجهاً وتسعة أوجه، ثم قال آخرها " وثمَّ وجوه أخر للترجيح فى بعضها نظر وفى بعض ما ذكر أيضاً نظر، وإنما ذكرت هذا منها لقول المصنف أن وجوه الترجيح خمسون فأكثر ".[٩٠]

وجاء الإمام الشوكاني [٩١] – رحمه الله – وبلغ بها تسعة وثمانين وجهاً [٩٢].

ثم جاء العلامة محمد جمال الدين القاسمى [٩٣] ولخصها فى أربعة أقسام :

الأول : وجوه الترجيح باعتبار الإسناد.

الثاني : وجوه الترجيح باعتبار المتن.

الثالث : وجوه الترجيح باعتبار المدلول.

الرابع : وجوه الترجيح باعتبار أمور خارجية [٩٤].

حكم العمل بالراجح :

ذهب جمهور العلماء من المحّدثين والفقهاء إلى العمل بالراجح دون المرجوح من الحديث وقال الشوكاني : " وهذا متفق عليه ولم يخالف فى ذلك إلا من لا يعتُّد العمل بالراجح وترك المرجوح ".[٩٥]

---

(٨٩) العراقي : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبى بكر العراقى الشافعي (٧٢٥ – ٨٠٦) كان إماماً فى الحديث، واللغة، لكن غلب عليه الحديث فاشتهر به رحل إلى مصر وهو صغير من أشهر مصنفاته. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح. شذرات الذهب :(٨٧/٩).

(٩٠) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي : ص (٢٥٠) دار الحديث.

(٩١) الشوكانى : محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣ – ١٢٥٠) فقيه مجتهد من كبار العلماء فى اليمن نشأ بصنعاء وولى قضاءها، وبات حاكماً بها، من أشهر مصنفاته نيل الأوطار – الأعلام: (٢٩٨/٦).

(٩٢) إرشاد الفحول للشوكانى: (١١٢٥/٢).

(٩٣) القاسمي : محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ – ١٣٣٢) ولد بدمشق ونشأ وتعلم بها، رحل إلى مصر والمدينة له مؤلفات عدة من أشهرها – قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : معجم المؤلفين: (٦٣٤/٣).

(٩٤) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي : ص (٢٢٥ – ٢٣٠) تحقيق مصطفى شيخ مصطفى – مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٥.

(٩٥) إرشاد الفحول للشوكانى: (١١١٤/٢)الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى :(٥٦٠/٢) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للحافظ شمس الدين السخاوى الشافعى: (٤٧٤/٣) تحقيق د- عبد الكريم الخضير- دار المنهاج –الرياض ط الأولى(١٤٢٦)..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner